فوائد لغوية

عثرات الاقلام

Notes lexicographiques.

كل ناطق بالضاد يعرف ما « لمجلة المجمع العلمي العربي » من المقام الرفيع وما لها من الايادي البيضاء على ترقية هذه اللغة الشريفة. وتقريظنا لها لا يزيدها شرفا كما ان سكوتنا عن ذكرها لا يحط من قدرها قيد شعرة. وهي تعقد فصلا تدرج فيه ما يوجب على ابنائه عدنان من اصلاحه من الغلط الذي ينسل اليهم من بعض صحفة الكتاب او من المؤلفين الاعاجم. ولو لم يكن لها إلّا هذه المزية لكفاها شرفاً وخدمة وتخليدا لاسمها .

الا اننا نرى في بعض الاحيان انها تجزم في امور كنا نود ان تصدر الحكم فيها بصورة غير قاطعة ، بل ببعض التحفظ . ونحن نورد مثالا لذلك :

طاف يطوف

قالت المجلة في ص ٣٠٨ من هذا المجلد السادس : « ومنها (اي من عثرات الاقلام) قولهم : (وقد طاف جسده على وجه الماء) يريدون ظهر على سطح الماء بعد ان كان راسبا في قعره . وصوابه « طفا » . وسمي « الرمث » طوفا لانه ينتقل على سطح الماء من مكان الى آخر ، لانه يطفو على سطحه» اه

قلنا هذا رأي لكن الرأي القائل بانه من طفا يطفو رأي وجيه لا يحتقر والدليل انهم قالوا في معناه : العامة . وهذه مشتقة من عام يعوم اي ماج يموج او سبح يسبح على وجه الماء. كما ان طاف يطوف مقلوب طفا يطفو. وورود هذا القلب في اللغة قديم . قال في التاج : سميت « الطائف » لانها طافت [ولم يقل طفت] على الماء في الطوفان . اه وكيف يمكن اشتقاق الطائف من طفا ؛ اليس من الواضح انه يذهب الى انها من طاف يطوف بالمعنى الذي اشار اليه المجمع. ولهذا كنا نود ان يقول المحقق في مكان : «وصوابه» : «والاحسن» حتى تطمئن النفس بعض الاطمئنان

وفي معرض الكلام عن مادة طوف يقول الكاتب اسعد خليل داغر في كتابه « تذكرة الكاتب » ص ٧٧ في الرقم المعلم بـ ١٦١ : ويقولون » الى ان يطوف على قبائل العرب مستجديا الصدقات » فيعدون الفعل طاف بعلى . وفي اللغة: طاف حول الشيء وبالشيء. وطوف واستطاف : دار حوله وطاف في البلاد. وطوف : جال وسار. اما تعديتهم بعلى فلم تسمع عن العرب. اه

قلنا : لله درّه من محقق. وطاف على قبائل العرب شيء وطاف حول القبائل وبقبائل العرب شيء آخر. وطاف على قبائل العرب سمع وهو اشهر من ان يذكر واما طاف حولها وطاف بها . فلم ينقل عن احد .

نعم ان كلا منهما يرى في كتب اللغة لكن لا بمعنى ما يريده الكاتب الاول من قوله : طاف على قبائل العرب . اما انه لم يسمع فيكذبه ما جاء في سورة القلم : « فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون » وآية اخرى وردت في سورة الواقعة وهي : « يطوف عليهم ولدان مخلدون » وثالثة وردت في سورة الطور : « ويطوف عليهم غلمان لهم كانهم لؤلؤ مكنون » وهناك آية رابعة وردت في سورة الانسان وهي : « ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا » واظن اني في مندوحة عن ذكر اقوال اخرى بعد هذه الايات .

فاين بقي تحقيق الصديق المحبوب ؟ وكتابك كله يا ايها العزيز على مثل هذا الوجه من التحقيق والتدقيق والتصويب والتخطئة : الى ماتشاء من الالفاظ المترادفة والمتضادة .

فويق ناقة

وقالت المجلة ايضا اما « فويق » في قولهم [مكثنا مع الاخوان فويق ناقة] فنحن لانعتبر قولهم فويق ناقة من الامثال . بل من الاقوال السائرة مسير الامثال ولهذا لانرى مانعا من اعتبار « فويق ناقة » بتصغير فواق من الغلط .

اركن

وقال المجمع (٦ : ٣٠٩) : لم يرد « اركن » رباعيا. وقد ذكر صاحب محيط المحيط «اركن» في معجمه وتبعه على (كذا) ذلك صاحب اقرب الموارد

والمنجد. وقد راجعنا التاج واللسان والصحاح والاساس وغيرها من امهات كتب اللغة فلم نجدهم ذكروا « اركن » . اه

قلنا : عدم ورود هذه اللفظة في دواوين اللغة لا ينفي وجودها . اذ لغتنا اوسع من ان تضمها دفتا معجم ذهبي بحر لجي لاقرار له . وقد وردت في سورة هود في قراءة : ولا تركنوا الى الذين ظلموا. قال صاحب الكشاف (١:٦١٥) وقرأ ابن ابي عبلة : ولاتركنوا على البناء للمفعول من اركنه اذا اماله. والنهي متناول الانحطاط في هواهم ... وتاويل قوله : ولاتركنوا فان الركون هو الميل اليسير اه. وهذا نص صريح على وجوده : فلا يمكن انكاره : لكن اشفق من ان يكون المجمع اعتمد على كتاب «تذكرة الكاتب» للصديق الودود اسعد خليل داغر القائل (في ص ١٢٦ وفي الرقم ٣٣٧) : ويقولون : « فاركن الجيش كله الى الفرار . والصواب ركن » فكان من الوهم ما كان . وقد كنت قد نبهت الادباء سابقا على ان تذكرة الكاتب قد اخطأت في تصويباتها اكثر مما اصمت. (يقال: اصمى الصائد الصيد : اذا رماه فقتله مكانه وهو يراه وصديقنا لم يصد ببندقية تصحيحه شيئا يذكر الا اننا نمدح غيرته على العربية) .

الزردقة

ونضم الى هذا البحث ما حققناه قبل ٢٥ سنة من امر الزرطقة . فهذه اللفظة وردت مصحفة بوجوه مختلفة لجهل الكتاب صحتها : فقد وردت بصورة زردقة وزرطقة كما جاء في مجلة المجمع (٦:٣٢٢) ووردت بصورة زرطفة [اي بفاء منقطة بواحدة] في نسخة كشف الظنون المطبوعة في ديار الافرنج. وهي قراءة مخطوءة بلاادنى شك . وهكذا اوردها صاحب محيط المحيط بحر الاغلاط والاوهام نقلا عن فريتاغ مفسد لغتنا وان لم يصرح البستاني بنقله عنه. وفريتاغ يقول وجدها بهذه الصورة في ديوان جرير وهذا الديوان ليس بيدي وقت كتابة هذه السطور لاتثبت الامر .

وعندي ان هذه الروايات كلها غلط. والصواب زرطقة اي بتقديم الراء على الزاي لكن هذه اللغة الحقيقية الصحيحة مجهولة واللغة المغلوطة هي المعروفة والشائعة وليس ذلك بغريب فان السلف كثيرا ما جمع بين اللغتين كلما جاورت الزاي الراء.

من ذلك ناقة ضمرز وضمزر ، وضمارز وضمازر (راجع المزهر ١ : ٢٣٠ من طبعة بولاق) ؛ مزراب ومرزاب (اللغويون) . ويقال سمعت رزة القوم وزرة القوم اذا سمعت اصواتهم : بتقديم الراء على الزاي [المزهر ١ : ٢٦١] الى غير هذه المثل .

وقد قال في المذكرة [١] : رأى النبطي وقسطوس وابن العوام وكثير من الروم ضم الحيوان الى كتب الفلاحة وسموا المجموع « زردقة » [٢] حتى اشتغل ادهم والغطاريف وسومارس وارجانس بافراده . اه

فهذا كلام نفيس يدلنا على اصل الكلمة وانها رومية [اي لاتينية لان هذه اللغة كانت لسان اهل رومة ومنها لغة رومية] وهي عندي Res rustica اي اشغال حقلية ثم خصت الكلمة بكل ما يتعلق باشغال الحراثة علما ونظرا كانتقاء النباتات وتوطينها وخلقة النباتات والحيوانات والعناية بها وصنعها وتربية سمك البحر والنهر والبحث عن انواع الاسمدة . والخلاصة الزردقة او الزرطقة هي الزرطقة اي هي ماتسمى اليوم اغرونومية agronomie وباللاتينية Res rust e ue وعليه يسمى المشتغل بها زرطقي اي agronome كما قالو بيطاري لمن يزاول البيطرة .

ولقد بلغت اليوم الزرطقة مبلغا بعيدا في التوسع في غايتها . من ذلك ان اهل هذه الصناعة اقاموا مايسمونه « مواقف الزرطقة » وهي معاهد يعنى فيها بانواع البحث عن جميع المسائل التي تتعلق بالزراعة والحراثة والفلاحة كتخير البزور وتربية المواشي ومعرفة الحيوانات والحشرات المضرة والنافعة وتربية دود القز والنحل ومحاربة ما يعاديها والبحث عن تركيب الارضين واختبار

(١) المذكرة من كتب الاقدمين كان عندي منها نسخة خطية وهي تبحث عن البيطرة والزرطقة وسرقت مني قبل سقوط بغداد بخمسة ايام . ومن اشد البلايا انها احرقت في التنور مع كتب اخرى خطية عديدة كانت لخزانتنا . وكنت قد انتقيت من المذكرة طائفة من الكلم ادخلتها في معجمي العربي ومن جملتها هذه الكلمة .

(٢) ومن صحف هذه الكلمة نقلا عن فريتاغ فزمبرسكي في معجمه العربي الفرنسي . قال في مادة زرطقة (بالقاف) ما معناه : فن ركوب الخيل وسياستها وصنعها مع ان فريتاغ لم يقل اكثر من هاتين الكلمتين : الزرطقة : سياسة الخيل [نقلا عن ديوان جرير] .

الآلات على اختلاف اعمالها ومنافعها وفحص ما ينمي اثاء الاشجار والبحث عن الخمائر وصنع الجبن وتكثير بيض الدجاج وسائر الطير الى غير هذه الشؤون .

والذي يعتني بترقية هذه « المواقف » اهل الحكومة او الاقضية والبلديات واذا ادخلت هذه الاقضية « مواقف الزردقة » تساعدها الدولة بموجب احتياجها الى المال او بالنظر الى الغايات التي تقوم بالسعي الى بلوغها او الى الغايات التي تتوخاها .

هذا مجمل ما يقال في هذا المعنى ومن اراد التوسع فعليه بكتب الافرنج المصنفة في هذا الموضوع الجليل بالاسم الذي ذكرناه .

اصل الميم في الاسماء المشتقة

كثيرا ما نقول « هذا الشيء معروف . وذاك الرجل معترف بذنبه . والذنب معترف به (بالمجهول) . وفي بلادنا مدارس كثيرة والمصحف الذي بيدك حسن » الى غير هذه الالفاظ المشتقة التي تقاس في ابواب اسم الفاعل والمفعول والصفة المشبهة والمكان والزمان والآلة . فمن اين جاءتنا هذه الميم ؟

الميم على ما تتبعته مقطوع من كلمة (من) الذي في الاسماء الموصولة الدالة على العاقل — واصل النون راء وابدلت منها لانشاء صورة معنى جديد لفكر جديد . فاصل (من) : (مرء) اي رجل واللاتين يقولون مر اي mar, maris ويريدون به المرء كما في العربية والانكليز يقولون « من » كما في العربية ويعنون به الرجل او المرء . فاللغات اذا في هذا اللفظ تكاد تتشابه كلها معنى ومبنى .

ثم ان العرب ميزوا لفظ العاقل عن غير العاقل . فصيروا النون الاخيرة الفا وخصوا لفظ (ما) بما لا يعقل من الكائنات . فيقولون مثلا : رأيت ما احزن نفسي . ويريدون بذلك الشيء الذي احزنها . ويقولون : رأيت من احزن نفسي ويريدون به رجلا يعقل احزن نفسه .

اذا علمت هذا . فالميم التي ترى في الاسماء المشتقة هي في الاصل مقطوعة من (من) للعاقل ومن (ما) لغير العاقل . فاذا قلت هذا الرجل معروف

اي (من) يعرف (بالمجهول) وان قلت هذا الامر معروف فمعناه (ما) يعرف (بالمجهول) .

وكذا القول في سائر المشتقات. وعليه اذا سئلت ما اصل كلمة (مكنسة) قلت : (ما) تكنس . اي الشيء الذي يكنس . ان نسبت الفعل الى الآلة كما هو معهود . وان اردت نسبة الفعل الى الرجل الذي يستخدم الآلة قلت معناها (ما) يكنس بها الرجل .

وهكذا قس سائر المشتقات المبتدئة بالميم المذكورة .

أتجمع ميل على اميال ام على ميول ؟

يكثر المصريون من جمع الميل (بفتح الميم بمعنى الهوى او مايقاربه معنى) على ميول . جريا على ان فعلا المفتوح لايجمع إلّا على فعول . وما ورد منه على افعال نادر لايعتد به — على ان المستقري لالفاظ اللغة في المعاجم يجد مجيء فعل مجموعا على افعال اكثر من مجيئه على فعول .

والميول بمعنى الاميال لم ترد في كلام فصيح او مولد فصيح بخلاف الاميال . فقد قال نعمة الله بن علي بن عرام (راجع معجم الادباء لياقوت الحموي ٧ : ٢٤٩) :

نميل مع «الاميال» وهي غرور ونصغي لدعواها وذاك زور

فهل للكتاب المصريين نص قديم او مولد فصيح ورد فيه الميل مجموعا على ميول ؟ فليذكروه لنا لنكون لهم من اخلص الشاكرين .

وزن فعلول المفتوح الاول

قال الجوهري عند كلامه عن اليعسوب : « الياء فيه زائدة لانه ليس في الكلام فعلول (المفتوح الاول) غير صعفوق» اه ونقل هذا الكلام جميع اللغويين الذين جاؤوا بعده . وهو عندنا حديث خرافة . فقد ورد في كلامهم غير صعفوق مثل : الكرموص (عن التاج) والصندوق (على لغة) والسحنون (في رواية) والقرقوف (اللسان) والطرخون (عنه وعن القاموس) والبرشوم (يروى بضم اوله وفتحه . عن اللغويين) وذلك غير هذه الالفاظ فليصحح كلام صاحب الصحاح ومن اتبعه .